

## الفصل الثالث

### مدخل إلى تفسير ابن الجوزي وابن عطية

وفيه مبحثان:

⇐ المبحث الأول: الإمام ابن الجوزي وكتابه، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن الجوزي
- المطلب الثاني: التعريف بالكتاب ومنزلته العلمية.

⇐ المبحث الثاني: الإمام ابن عطية وكتابه، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن عطية
- المطلب الثاني: التعريف بالكتاب ومنزلته العلمية

## المبحث الأول

### الإمام ابن الجوزي وكتابه

يعتبر الإمام ابن الجوزي من المراجع الهامة بالنسبة للباحثين والمتخصصين في مجال دراسات الحديث الشريف؛ حيث يقع كتابه في نطاق علوم الحديث الشريف والفروع وثيقة الصلة من علوم فقهية وسيرة وغيرها من فروع الهدى النبوي. وتميز ابن الجوزي بغزارة إنتاجه وكثرة مصنفاته التي بلغت نحو ثلاثمائة مصنف شملت الكثير من العلوم والفنون، فهو أحد العلماء المكثرين في التصنيف في التفسير والحديث والتاريخ واللغة والطب والفقه والمواظ وغيرها من العلوم، وهو ما سنوضحها من خلال المطالين التأليه عن التعريف بالإمام بن الجوزي وبالكتاب ومنزلته العلمية.

## المطلب الأول

### التعريف بالإمام ابن الجوزي

أولاً/ اسم الإمام ابن الجوزي ونسبه:

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله ابن حمادي<sup>(١٧٢)</sup> بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري البغدادي<sup>(١٧٣)</sup>. والجوزي نسبة إلى جده جعفر الجوزي، وهي نسبة مختلف فيها إلى أقوال: فقيل: إن جده جعفر نسب إلى فرضة من فرض البصرة، يقال لها جوزة، وقيل: منسوب إلى حملة بالبصرة تسمى حملة الجوز. وقيل: نسبته إلى مشرعة الجوز من محال البصرة. وقيل: كانت بداره في واسط جوزة لم يكن بواسط

(١٧٢) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الألف دال مهملة مفتوحة وياء مفتوحة.

(١٧٣) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (١٤٠/٣) المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء:

٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠م.

جوزة سواها. قال الإمام ابن خلكان: " والجوزي: بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها زاي، هذه النسبة إلى  
فرضة الجوز، وهو موضع مشهور ورأيت بخطي في مسوداتي أن جده كان من مشرعة الجوز، إحدى محال  
بغداد بالجانب الغربي، والله أعلم" (١٧٤). وقال الإمام الذهبي: " وجعفر الذي هو جده التاسع (١٧٥): قال  
ابن دحية: جعفر هو الجوزي، نسب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها: جوزة. وقيل: كان في داره  
جوزة لم يكن بوسط جوزة سواها، وفرضة النهر: ثلمته، وفرضة البحر: محط السفن" (١٧٦). ويرجح القول  
الأول ما نقله ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب، وابن خلكان في وفيات الأعيان عن ابن الجوزي  
نفسه من أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز، وأن جده كان من مشرعة الجوز إحدى محال  
بغداد" (١٧٧). بالإضافة إلى أن هذا الرأي ذكره القسطنطيني في الوفيات، والزركلي في الأعلام، وكثير ممن  
ترجم لابن الجوزي (١٧٨).

#### سنة مولد الإمام ابن الجوزي:

ولد الإمام في محلة " درب حبيب" ببغداد (١٧٩)، واختلف في سنة مولده ما بين سنة الثامنة أو  
التاسعة أو العاشرة بعد المئة الخامسة (١٨٠)، إلا أنه يُرجح مولده في السنة العاشرة وذلك لأن كثيرا من

- 
- (١٧٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (١٤١/٣).  
(١٧٥) جعفر هو جده الثامن إلا أن يكون الذهبي قد عد أبا ابن الجوزي. انظر: الإمام ابن الجوزي، الإمام المري، والواعظ البليغ، عبدالعزيز  
سيد هاشم (ص: ١٩)، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ.  
(١٧٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٧٢/٢١) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة،  
الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.  
(١٧٧) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد العكري (٥٣٨/٦)، حققه: محمود الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق  
- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (١٤١/٣).  
(١٧٨) انظر: الوفيات، ابن قنفذ القسطنطيني (٣٠١/١) المحقق: عادل نويهض، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٣ هـ  
- ١٩٨٣ م. الأعلام، الزركلي (٣١٦/٣) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.  
(١٧٩) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، بن رجب السلامي (٤٦٣/٢) المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. الناشر: مكتبة العبيكان -  
الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.  
(١٨٠) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٦٦/٢١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (١١٠٠/١٢)، المحقق: الدكتور  
بشار عوَّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

المؤرخين أروخوا لمولده في هذه السنة، كما أنه نقل عن ابن الجوزي نفسه ما يؤكد مولده في السنة العاشرة، قال ابن النجار: "كان أبو الفرج ابن الجوزي يقول: لا أتتحق مولدي غير أن والدي مات سنة أربع عشرة وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين"<sup>(١٨١)</sup>. ونقل الذهبي عن ابن الدُبَيْي: "... سألت عن مولده غير مرة ويقول: يكون تقريبا سنة عشر"<sup>(١٨٢)</sup>.

### نشأة الإمام ابن الجوزي وثوراه:

نشأ الإمام ابن جوزي في بغداد في أسمى العصور الإسلامية وهو عصر الدولة العباسية، والتي ينتهي نسب الخلفاء فيها إلى العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، وتيتم الإمام ابن لجوزي صغيرا حيث مات والده علي بن محمد وله من العمر ثلاثة أعوام، وانصرفت عنه أمه فأبدله الله تعالى عمه مخلصه نشأ في كنفها، ومنحته جل عطفها وعنايتها، وسهرت على خدمته وتعليمه، فهي التي حملته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر<sup>(١٨٣)</sup>، فتلقى منه الرعاية التامة والتربية الحسنة، وأسمعه الحديث فكانت أول سماعاته في سنة (١٥١٦هـ)<sup>(١٨٤)</sup>، وهو الذي سماه عبدالرحمن وكان لا يُعرف إلا بالكنية، وقد أفصح عن ذلك بقوله: "سماني وأخوي شيخنا ابن ناصر: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الرازق، وإنما كنا نعرف بالكنى"<sup>(١٨٥)</sup>.

وهو أيضا من حمله إلى الأشياخ في صغره، فقد قال حاكيا عن نشأته العلمية في أول مشيخته: "حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعي العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم. فلما فهمت الطلب كنت ألزم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت

(١٨١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت (١٥٦/١٩)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (١٤٢/٣).

(١٨٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٧٣/٢١).

(١٨٣) أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي الحافظ الأديب المعروف بالسلامي، كان حافظ بغداد في زمانه،

وكان له حظ وافر من الأدب. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان (٢٩٣/٤).

(١٨٤) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٦٦/٢١) ذيل طبقات الحنابلة، بن رجب السلمي (٤٦٣/٢).

(١٨٥) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، بن رجب السلمي (٤٦٣/٢).

هتي تجويد العدد لا تكثير العدد. ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن

كل واحد منهم حديثاً<sup>(١٨٦)</sup>. ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً.

وعلى الرغم من فراق والده في طفولته فقد ساعده في توجيهه إلى طلب العلم وتفرغه لذلك ثروة أبيه الموسر، فقد ترك له من الأموال الشيء الكثير، ولذا نراه -رحمه الله- يكثر من الكلام عن نفسه في أكثر من كتاب، ويبين أنه نشأ في النعيم، فيقول في صيد الخاطر: " فمن ألف الترف؛ فينبغي أن يتلطف بنفسه إذا أمكنه وقد عرفت هذا من نفسي، فإني ربيت في ترف، فلما ابتدأت في التقليل وهجر المشتهى، أثر معي مرضاً، قطعني عن كثير من التبعيد، حتى إني قرأت في أيام كل يوم خمسة أجزاء من القرآن، فتناولت يوماً ما لا يصلح، فلم أقدر في ذلك اليوم على قراءتها، فقلت: إن لقمة تؤثر قراءة خمسة أجزاء، بكل حرف عشر حسنات، إن تناوها لطاعة عظيمة! وإن مطعماً يؤذي البدن، فيفوته فعل خير ينبغي أن يهجر فالعاقل يعطي بدنه من الغداء ما يوفقه"<sup>(١٨٧)</sup>.

فلما بلغ ابن الجوزي رشده شعر بنفسه وبال الترف عليه في طلب العلم، ففجع باليسير واستسهل الصعاب متحملاً كل الشدائد والمحن، فهمته في طلب العلم أنسته كل الترف فانكب على طلب العلم، يقول عن نفسه: " ولقد كنت في مرحلة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو... كنت في زمان الصبا أخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها شربة، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم"<sup>(١٨٨)</sup>. ولم يرحل الإمام ابن الجوزي في طلب الحديث، إلا أنه سمع الكتب الكبار كالمسند، والطبقات لابن سعد، وتاريخ الخطيب، والصحيحين، والسنن الأربعة والحلية، وعدة مؤلفات

(١٨٦) المرجع السابق.

(١٨٧) صيد الخاطر، ابن الجوزي (٤٦٠/١) بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم - دمشق. الطبعة: الأولى.

(١٨٨) انظر: الرحلة في طلب الحديث، أبي بكر البغدادي (٢١٩/١)، دار الكتب العلمية، بيروت. صيد الخاطر، ابن الجوزي (٢٥٠/١).

عالية<sup>(١٨٩)</sup>. وقرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري والقاضي أبي يعلى الصغير، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، وتتبع مشايخ الحديث وحمل عنهم، ولما توفي شيخه ابن الزغواني سنة (٥٢٧هـ) طلب حلقة شيخه فلم يعطها لصغر سنة، وأخذها أبو علي الراذاني، فحضر ابن الجوزي بني يدي الوزير، وأورد فصلا من المواعظ؛ فأذن له في الجلوس في جامع المنصور<sup>(١٩٠)</sup>، قال ابن الجوزي: "قال: فتكلمت فيه، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء، منهم عبد الواحد بن سيف، وأبو علي بن القاضي، وأبو بكر بن عيسى، وابن قنامي وغيرهم. ثم تكلمت في مسجد معروف، وفي باب البصرة، وبنهر المعلى، فاتصلت المجالس، وقوي الزحام، وقوي اشتغالي بفتون العلوم"<sup>(١٩١)</sup>. ومنذ ذلك الوقت اشتهر أمر الإمام ابن الجوزي، وأخذ في التصنيف والجمع والقراءة.

وقال في صيد الخاطر متحدثا عن علو همته في طلب العلم بأنه قد قرأ أكثر من عشرين ألف مجلدا، قال ابن الجوزي: "ولني أخير عن حالي، وما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابا لم أره فكأنني وقعت على كنز، ولقد نظرت في ثبوت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية؛ فإذا به يحتوي على ستة آلاف مجلد، وفي ثبوت كتب أبي حنيفة، وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب، وابن ناصر، وأبي محمد الشخاب، وكانت أحمالاً، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعد في الطلب، فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر همهم، وحفظهم، وعبادتهم، وغرائب علومهم، ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحقر هم الطلاب والله الحمد"<sup>(١٩٢)</sup>.

(١٨٩) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٧٣/٢١).

(١٩٠) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٧٣/٢١) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب السلامي (٤٦٥/٢).

(١٩١) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب السلامي (٤٦٥/٢).

(١٩٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي (١٣/١).

وقد استفاد كثيرا من "كتاب الفنون" لابن عقيل، وهو كتاب كبير جدًا، فيه فوائد كثيرة جليلة، في الوعظ، والتفسير، والفقه، والأصلين والنحو واللغة والشعر، والتاريخ والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره ونتائج فكره قيدها فيه، فاستفاد منه فوائد جمة، ولعله هو الذي نبهه إلى تقييد خواطره، فكان منها كتابه "صيد الخاطر"، وفي الجملة ترك كتاب الفنون آثارًا بارزة في علم ومصنفات ابن الجوزي، قال رحمه الله عن كتاب الفنون: "وهذا الكتاب مئتا مجلد، وقع لي منه نحو مئة وخمسين مجلدًا" وقال سبطه في "مرآة الزمان": "واختصر منه جدي عشر مجلدات فرقتها في تصانيفه" (١٩٣).

### صفات الإمام ابن الجوزي وأخلاقه:

نشأ الإمام ابن الجوزي على العفاف والصلاح، وظهرت ملامح شخصيته باكرا، فقد كان في صباه - كما ذكرت كتب التراجم - ورعا تقيًا زاهدًا، متحرّي الحلال، لا يحب مخالطة الناس خوفا من ضياع الوقت، ووقوع الهفوات، فصان بذلك نفسه وروحه ووقته، يقول الإمام ابن كثير: "وكان وهو صبي دينا مجموعا على نفسه لا يخالط أحدا ولا يأكل ما فيه شبهة، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة، وكان لا يلعب مع الصبيان، وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء، ومن سائر صنوف بني آدم، وأقل ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون" (١٩٤). بدأ التصنيف وله من العمر نحو ثلاث عشرة سنة (١٩٥)، وكان شغوفا بالعلم، كثير المطالعة للمصنفات في الفنون المختلفة، حريص على طلبها، غير مقتصر على علم معين. يقول - رحمه الله -: "إني رجل حبيب إلي العلم من زمن الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يجب إلى فن واحد منه، بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه، والزمان لا يسع، والعمر أضيق، والشوق يقوى، والعجز يظهر،

(١٩٣) المرجع السابق.

(١٩٤) البداية والنهاية، ابن كثير (٢٩/١٣) الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

(١٩٥) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٤٩٠/٢).

فيبقى وقوف بغض المطلوبات حسرات" (١٩٦). وتغلب رحمه الله على العادات الاجتماعية في ذلك الوقت والتي كانت مضيعة للوقت، من كثرة الزيارات، والحديث فيما لا يعني، وما يتخلله غيبة، وصحبة البطالين، ويصور ذلك بقوله: " فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهابه بفعل الخير، كرهت ذلك، وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم، وقعت وحشة، لموضع قطع المألوف! وإن تقبلته منهم، ضاع الزمان! فصرت أدافع اللقاء جهدي: فإذا غلبت، قصرت في الكلام، لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالاً تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من المستعد للقائهم: قطع الكاغد (١٩٧)، ويري الأقدام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي" (١٩٨).

وقد وهبه الله تعالى ذهنًا وقادًا وذاكرة فذة ساعدته على طلب العلم وحفظه، فبدأ بحفظ القرآن الكريم وهو صغير، ثم حفظ كثيرًا من كتب السنة والمسانيد، وقد أعانه حفظه الجيد وذاكرته القوية في خطبه ومواعظه فيرتجل الأحاديث الطويلة دون إعداد مسبق (١٩٩). قال-رحمه الله: "ولقد أقدري الله على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ" (٢٠٠). وكان رحمه الله كثير التعبد والصلاة، يختم القرآن الكريم كل أسبوع، زاهدًا متحريًا للحلال، يقول سبطه أبو المظفر (٢٠١): "كان زاهدًا في الدنيا متقللاً منها. وما مزاح أحدًا قط، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها. وما زال على ذلك الأسلوب إلى أن توفاه الله تعالى" (٢٠٢). وقال يوماً في مناجاته: "إلهي لا تعذب لسانا يخبر عنك، ولا عيننا تنظر إلى علوم تدل

(١٩٦) صيد الخاطر، ابن الجوزي (٥١/١).

(١٩٧) الكاغد: ورق الكتابة.

(١٩٨) صيد الخاطر، ابن الجوزي (٢٤١/١).

(١٩٩) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٧٣/٢١)، ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب السلامي (٤٦٥/٢).

(٢٠٠) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد (٥٣٨/٦).

(٢٠١) سنائي ترجمته مع تلاميذ الإمام ابن الجوزي.

(٢٠٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد (٥٣٨/٦).

عليك، ولا قدما تمشي إلى خدمتك، ولا يدا تكتب حديث رسولك، فبعزتك لا تدخلني النار، فقد علم أهلها أنني كنت أذب عن دينك" (٢٠٣).

ومن أقوال الإمام ابن الجوزي ما يكشف عن جانب أساسي في تكوينه النفسي، ويوضح ركونه واعتماده على الله، يقول-رحمه الله-: " تفكرت في نفسي، فرأيتني مفلسًا من كل شيء؟! إن اعتمدت على الزوجة، لم تكن كما أريد: إن حسنت صورتها، لم تكمل أخلاقها، وإن تمت أخلاقها، كانت مريدة لغرضها لا لي، ولعلها تنتظر رحيلي! وإن اعتمدت على الولد، فكذلك! والخدم والمريد لي كذلك، فإن لم يكن لهما مني فائدة، لم يريدا لي! وأما الصديق، فليس ثم! وأخ في الله كنعقاء مغرب (٢٠٤)! ومعارف يفتقدون أهل الخير، ويعتقدون فيهم قد عدموا! وبقيت وحدي، وعدت إلى نفسي، وهي لا تصفوا لي أيضًا، ولا تقيم على حالة سليمة! فلم يبق إلا الخالق سبحانه، فرأيت أني: إن اعتمدت على إنعامه، فما آمن ذلك البلاء، وإن رجوت عفو، فما آمن عقوبته! فو أسفًا! لا طمأنينة ولا قرار! واقلبي من قلبي! واحرقني من حرقني! بالله، ما العيش إلا في الجنة، حيث يقع اليقين بالرضا، والمعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذي، فأما الدنيا، فما هي دار ذاك" (٢٠٥).

وقد أثمر العلم عند ابن الجوزي خشية الله تعالى، فهذا هو يقول: "وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم، حتى إنني أذكر في زمان الصبوة ووقت الغلظة والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي العلم من خوف الله عز وجل، ولولا خطايا لا يخلو منها البشر، لقد كنت أخاف على نفسي من العجب؛ غير أنه عز وجل صانني وعلمني وأطلعني من أسرار العلم على معرفته، وإيثار الخلوة به، حتى إنه لو حضر معي معروف وبشر، لرأيتهما

(٢٠٣) المرجع السابق.

(٢٠٤) طائر متوهم يضرب به المثل، فيما هو مستحيل الوجود.

(٢٠٥) صيد الخاطر، ابن الجوزي (٣٤٢/١).

زحمة" (٢٠٦). وكان -رحمه الله- معتدا بذاته ذو فخر وعُجب بنفسه، فمن أقواله التي تدل على ذلك:  
 "أطيب ما يكون كلامي إذا شرعت في ذكر الصالحين... كلامي أطيب من تغريد الأطيار على أفنان  
 الأشجار، وألد من تجاوب الأوتار في أواخر الأسحار، كلامي يسلب الماء رفته، والنحل ريقته، يجعل نظم  
 العقود، ويسكر ولا ابنة العنقود، أحسن من نور الخمائل، وأنفذ من سحر بابل..... كلماتي المبتكرة  
 أحسن من حوليات زهير، تعز هذه الفرائد ولو تعب في طلبها ألف رائد... " (٢٠٧). قال الإمام ابن كثير:  
 "وقد كان فيه بهاء وترفع في نفسه وإعجاب وسمو بنفسه أكثر من مقامه، وذلك ظاهر في كلامه في نثره  
 ونظمه، فمن ذلك قوله (٢٠٨):

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا  
 وأكابد النهج العسير الأطولا  
 تجري بي الأمال في حلباته  
 جرى السعيد مدى ما أملا  
 أفضى بي التوفيق فيه إلى الذي  
 أعيا سواي توصلا وتغلا  
 لو كان هذا العلم شخصا ناطقا  
 وسألته هل زار مثلي؟ قال: لا"

وقد برر هذه المبالغة في الإطراء على نفسه بأنه من باب التحدث بأنعم الله وفضله عليه، فيقول:  
 "ولي في كتبي الوعظية - بحمد الله - أعمال عجز عنها من تقدم. وإنما أحدث بهذه النعم شكرا، لا عجبا  
 لأنه إنما يعجب من يرى عمله. وأنا إنما أرى فضل المنعم وقلة شكري" (٢٠٩).

(٢٠٦) صيد الخاطر، ابن الجوزي (٢٨٤/١).

(٢٠٧) انظر: صبا نجد في المواعظ والرقائق وأشعار الزهد، ابن الجوزي (ص: ١٣٥-١٣٦) دار الصحابة-طنطا، الطبعة: ١٤١٣هـ.

(٢٠٨) البداية والنهاية، ابن كثير (٢٩/١٣).

(٢٠٩) القصص والملذكين، ابن الجوزي (٣٧٣/١) المحقق: د. محمد لطفي الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية،

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

رحلات الإمام ابن الجوزي وشيوخه وتلاميذه:

أولاً: رحلات الإمام ابن الجوزي:

كانت تلك السنوات التي شهدت ميلاد الإمام ابن الجوزي ومطلع شبابه سنوات ذهبية بالنسبة للبصرة، حيث أن التاريخ العلمي للمدينة بلغ ذروته، وانتقل الثقل الحضاري والعلمي من المدينة إلى العراق مع ظهور الخلافة العباسية، مما مكن البصرة من مزاحمة المدن كمركز علمي بارز ومتقدم، ومما ساهم في إثراء بيئتهم العلمية أن أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم هم نواة الحركة العلمية في تلك البلاد حيث نزلها كثيراً منهم رضوان الله عليهم، مثل: أنس ابن مالك الذي كان أستاذاً لمدرسة البصرة الحديثية وإماماً لها، وعبدالله بن عباس وغيرهم (٢١٠).

فأتاحت هذه الظروف لأبناء البصرة بيئة علمية مثمرة وناضجة، ساهمت في إنتاج علماء بارزين، وكانت عاملاً مهماً في رفعة مقام الإمام العلمية والفكرية، فمع أنه لم يرحل لطلب الحديث، إلا أن أئمة الحديث وحملته قد طافوا البلاد ونزلوا بغداد واستقر بهم المقام فيها حيناً من الزمن، فانتقى مشايخه انتقاءً، واصطفى له طائفة من نخبة العلماء، وتلمذ على خيرة علماء عصره، وقد صرح بذلك في قوله: " حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر وأسمعي العوالي، وأثبت سمعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب كنت أأزم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العدد لا تكثير العدد. ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي، ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً" (٢١١).

(٢١٠) انظر: الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، أحمد محرم الشيخ ناجي (٢٠٨/١) الطبعة: الخامسة.

(٢١١) مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي (٥٣/١)، تقديم وتحقيق: محمد محفوظ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة،

## ثانياً: شيوخ الإمام ابن الجوزي:

ألف الإمام ابن الجوزي-رحمه الله-في مشيخته كتابا خاصا ذكر فيه ستة وثمانين شيخا، وذيله بثلاث نسوة ممن أخذ العلم على أيديهم، وسأورد -على سبيل الاختصار- من اشتهر بالأخذ عنهم أو ممن هم أعلام في الأمة (٢١٢)، وهم:

١- أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت، وتنتهي نسبته إلى كعب بن مالك الأنصاري أحد الثلاثة الذين خلفوا، يقول المؤلف: أنه قرأ عليه، وكان ثقة فهما حجة، وكان يعرف الفقه على مذهب أحمد بارعا في الفرائض والحساب والهندسة، توفي رحمه الله سنة (٥٣٥هـ) (٢١٣).

٢- أبو بكر محمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن عبد الله الحاجي، المعروف بالمرزبي، قال ابن الجوزي أنه سمع منه، وكان ثقة، ثبنا، عالما، حسن العقيدة حنبليا، توفي رحمه الله سنة (٥٢٧هـ) (٢١٤).

٣- أبو الحسن علي بن عبد الواحد الدينوري، مسع منه الفقه، والحديث، والجدل، والخلاف، والأصول، وهو من أقدم شيوخه، وكان يسكن باب البصرة من غربي بغداد، توفي رحمه الله سنة (٥٢١هـ) (٢١٥).

---

(٢١٢) من أراد استيعاب شيوخه يمكنه الرجوع إلى مشيخة ابن الجوزي.

(٢١٣) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساکر (٦٩/٥٤) المحقق: عمرو بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي (٥٣/١).

(٢١٤) انظر: معجم الشيوخ، ابن عساکر (٩١٧/٢) المحقق: الدكتور وفاء تقي الدين، الناشر: دار البشائر - دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي (٦١/١).

(٢١٥) انظر: مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي (٦٥/١).

٤- أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي، سمع منه ابن الجوزي بقراءة شيخه الأول أبي الفضل بن ناصر، وكان عبد الملك خيراً، صالحاً، صدوقاً، مقبلاً على نفسه، خرج إلى مكة فجاور بها، وتوفي رحمه الله بعد رحيل الحاج بثلاثة أيام سنة (٥٤٨هـ) (٢١٦).

٥- أبو سعد أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان البغدادي، سمع منه ابن الجوزي بقراءة شيخه الأول أبي الفضل بن ناصر، بغدادي الأصل، أصبهاني المولد والمنشأ، سمع الكثير، وحدث، وكان خيراً، ثقة، وحج إحدى عشرة حجة، وأملى بمكة والمدينة، وكان على طريقة السلف، صحيح العقيدة، حلو الشائل، توفي بنهاوند في ربيع الأول سنة (٥٤٠هـ) (٢١٧).

٦- أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي الدار، الفارسي الأصل، وهو خاله، كان حافظاً ضابطاً متقناً ثقة، فقيهاً ولغوياً بارعاً، وهو أول معلم له، قال الإمام ابن الجوزي: "كان حافظاً، ضابطاً، ثقة، من أهل السنة لا مغمز فيه، وهو الذي تولى تسميعي الحديث من زمن الصغر، فأسمعي مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره من الكتب الكبار والعوالي، وأثبت لي ما سمعت، وعنه أخذت أكثر ما عرفت من علم الحديث، وكان كثير الذكر، سريع الدمعة". توفي سنة ٥٥٠هـ (٢١٨).

٧- أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري البغدادي المقرئ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس، كان يعرف بابن الطبري، قال الإمام ابن الجوزي: "كان صحيح السماع، ديناً، ثبتاً، كثير الذكر، دائم التلاوة، وسمعت عليه الحديث الكثير، ومنتعه الله بسمعه وبصره وجوارحه إلى

(٢١٦) انظر: المرجع السابق (٨٨/١).

(٢١٧) انظر: مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي (٩٣/١).

(٢١٨) انظر: مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي (١٢٩/١).

أن توفي يوم الخميس ثاني جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة، عن ست وتسعين سنة وأشهر" (٢١٩).

وسمع منه أيضا خلق كثير، منهم: أبي بكر محمد بن الحسين المزني، وأبي غالب محمد بن الحسن الماردي، وأبي القاسم عبد الله بن محمد الأصبهاني الخطيب، والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وإسماعيل ابن السمرقندي، ويحيى ابن البناء، وعلي بن الموحّد، وأبي منصور بن خيرون، وبدر الشّيجي، وأبي سعد أحمد بن محمد الزوزني، وأبي سعد أحمد بن محمد البغدادي الحافظ، وعبد الوهاب بن المبارك الأنطاقي الحافظ، وأبي السعد أحمد بن علي بن المجلي، وأبي منصور عبد الرحمان بن زريق القزاز، وأبي الوقت السجزي، وابن ناصر، وابن البطي، وطائفة مجموعهم نيف وثمانون شيخا، قد خرج عنهم (مشيخة) في جزءين (٢٢٠).

ثالثاً: تلاميذ الإمام ابن الجوزي:

تتلمذ الإمام ابن الجوزي العلم والحكمة على يد نخبة من أفذاذ عصره، وتلمذ على يد ابن الجوزي عدد من الأئمة اختاروه شيخاء وبرزوا من بعده مقتدين به في العلم وسالكين نهجه في التأليف والإخلاص، وسأذكّركم على سبيل المثال لا الحصر:

١- عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي الحافظ الإمام. أوحّد زمانه في علم الحديث والحفظ؛ تقي الدين أبو محمد الزاهد العابد، صاحب العمدة والكمال وغير ذلك من التصانيف. سمع من ابن الجوزي ببغداد، حدّث بإصبهان، وبغداد، ودمشق، ومصر، ودمياط،

(٢١٩) انظر: مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي (٦٣/١)

(٢٢٠) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٦٦/٢١)

والإسكندرية. وكتب ما لا يوصف، وصنّف التصانيف المفيدة، نزل مصر في آخر عمره، ومات بها يوم الاثنين سنة (٦١٣هـ)؛ وله تسع وخمسون سنة، ودفن بالقرافة (٢٢١).

٢- أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر المقدسي الصالحي مسند الشام زين الدين أبو العباس الناسخ الفقيه الحنبلي، ودخل بغداد، وسمع بها من ابن الجوزي وغيره، وسمع بدمشق وحران، وكان حسن الخلق، دينا متواضعا، وكتب ما لا يوصف كثرة من الكتب، متأثرا بشيخه ابن الجوزي حتى صار شيخا للأئمة الكبار، والمحدثين الحفاظ، توفي سنة (٦٦٨هـ) في رجب بصالحية دمشق (٢٢٢).

٣- يوسف بن قزغلي - أو قزغلي - بن عبد الله، شمس الدين، أبو المظفر، سبط الإمام ابن الجوزي، روى عن جده ببغداد، وسمع أبا الفرج بن كليب، وابن طبرزدي، وسمع بالموصل، ودمشق. وحدث بها، وبمصر. وأعطى القبول. وصنف الكتب المفيدة، فمن ذلك كتابه "مرآة الزمان" في التاريخ، و"شرح الجامع الكبير" وكتاب "إيثار الإنصاف" و"منتهى السؤل في سيرة الرسول" و"اللوامع في أحاديث المختصر والجامع" و"المجد المعظمي" و"تفسير القرآن العزيز". توفي ليلة الثلاثاء، حادي عشرين ذي الحجة، سنة (٦٥٤هـ) (٢٢٣). وحدث عنه غيرهم خلق كثير، منهم: الحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، وابن الديلمي، وابن التجار، وابن خليل، والضياء، واليلداني، والنجيب الحراني، وابن عبد الدائم، وخلق سواهم (٢٢٤).

(٢٢١) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (١٢٠٣/١٢) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

(٢٢٢) انظر: الذيل لابن رجب ٢٧٨/٢-٢٧٩؛ وتذكرة الحفاظ رقم (١٠٩٨).

(٢٢٣) انظر: تاج التراجم، بن قُطُوبغا (٣٢١/١) المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

(٢٢٤) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٦٧/٢١).

## مذهب الإمام ابن الجوزي وعقيدته:

يعتبر الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى من علماء الحنابلة الكبار، وقد اشتهر عن الحنابلة نصرتهم لعقيدة السلف، ولكن لما خرج ابن الجوزي عن طريقهم في بعض المسائل احتج بعض المتكلمين على الحنابلة بما يقول، وذلك لتأثره بالمتكلمين في مسائل الأسماء والصفات، فتأرجح فيها بين النفي والإثبات، فهو أحيانا يثبت وأحيانا ينفي، وربما ناقش بعض المبتدعة في النفي، وربما ناقش بعض أهل السنة في الإثبات، أو احتج بما في الصحيحين من أحاديث وأولها، ونسب ذلك لعقيدة السلف (٢٢٥). وقال ابن رجب: "ومع هذا فللناس فيه - رحمه الله - كلام من وجوه.... منها: وهو الذي من أجله نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقادسة والعلثيين - من ميله إلى التأويل في بعض كلامه، واشتد نكرهم عليه في ذلك. ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطلعاً على الأحاديث والآثار في هذا الباب، فلم يكن خبيراً بحل شبهة المتكلمين، وبيان فسادها. وكان معظماً لأبي الوفاء بن عقيل يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه وإن كان قد ورد عليه في بعض المسائل. وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام، ولم يكن تام الخيرة بالحديث والآثار. فلهذا يضطرب في هذا الباب، وتتلون فيه آراؤه. وأبو الفرج تابع له في هذا التلون" (٢٢٦).

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات؛ بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً ما أثبت به كثيراً من الصفات التي أنكرها في هذا المصنف. فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس يثبتون تارة وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات كما هو حال أبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد

(٢٢٥) انظر: ترجمة الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، محمد أحمد يوسف (ص: ٥٤).

(٢٢٦) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٤٨٧/٢).

الغزالي" (٢٢٧). وهذا الكلام الصادر من إمام ثقة بصري ناقد محقق، له ثقله عند أهل السنة والجماعة، إذ يعتبر خاتمة المحققين لعقائدهم، ورافع لواء دفع الشبهات، وداحض فلول المبتدعة، وكل من أتى بعده هم عالة عليه تختصر الزمن وتقرر عقيدة ابن الجوزي في باب جليل من أبواب العقائد (٢٢٨). وقد ادعى بعض الأشاعرة أنه منهم، ويدفع هذا طائفة من الشواهد التاريخية منها:

- أن ابن الجوزي كان مضطربا في مسألة الصفات، فيثبتها مرة وينفيها مرة أخرى (٢٢٩).
- أن علماء الحنابلة ببغداد أنكروا على ابن الجوزي نفيه لبعض الصفات، وميله للتأويل، وتأثره بالأشاعرة، وأرسلوا إليه خطابا طويلا مشحونا بالتحذير والنصح والتهديد والتخويف، وقالوا له فيه: إنه أساء إلى مذهب الإمام أحمد الذي ينتسب إليه؛ فلو كان قد ترك مذهبه في الأصول والتحق بالأشاعرة، ما جاء لخطابهم إليه بذلك الأسلوب، ولصارحوا فيه بأنه ترك مذهبهم (٢٣٠).
- أن لابن الجوزي أقوالا ذم فيها أبا الحسن الأشعري وأصحابه، فقال عن الأشعري: "تشاغل بالكلام، وكان على مذهب المعتزلة زمانا طويلا، ثم عن له مخالفتهم، وأظهر مقالة خبطت عقائد الناس وأوجبت الفتن المتصلة" (٢٣١).

(٢٢٧) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٦٩/٤).

(٢٢٨) انظر: ترجمة الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، محمد أحمد يوسف (ص: ٥٥) شبكة الألوكة.

(٢٢٩) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٤٨٧/٢).

(٢٣٠) انظر: ترجمة الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، محمد أحمد يوسف (ص: ٥٥).

(٢٣١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي (٢٩/١٤).

- أنه ابن الجوزي انتقد الأشاعرة في موقفهم من كلام أهل تعالى، وشهر بهم، ورد عليهم، وخالفهم في مفهوم التشبيه، فهو عنده أن يقال: "بصر الله كبصر الإنسان، ويده كيده" (٢٣٢) وعندهم هو إثبات الصفات الخبرية بلا تأويل (٢٣٣).

وهذا كله يدل على أن الإمام ابن الجوزي كان متذبذبا في مسألة الصفات، مضطربا في موقفه منها بين الحنبلية الأشعرية، وأن تأثره ببعض أفكار الأشاعرة لم ينقله عن مذهبه إلى مذهبهم، لكنه جلب عليه إنكار علماء الحنابلة، وانتقادهم إياه (٢٣٤).

### مذهب الإمام ابن الجوزي الفقهي:

حكى الإمام ابن الجوزي عن نفسه أنه اتخذ المذهب الحنبلي له مذهباً فقهياً، وعلل لذلك بقوله: "اعلم وفقك الله تعالى أني لما تتبعت مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى رأيته رجلاً كبير القدر في العلوم، قد بالغ رحمه الله في النظر في علوم الفقه ومذاهب القدماء، حتى لا تأتي مسألة إلا وله فيها نص أو تنبيه، إلى أنه على طريق السلف، فلم يصنف إلا المنقول، فرأيت مذهبه خالياً من التصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم؛ فصنفت تفاسير مطولة منها المغني مجلدات وزاد المسير وتذكرة الأريب وغير ذلك" (٢٣٥).

### ثناء الأثبات عليه:

إن الناظر في كتب الأئمة الذين أرحوا للإمام ابن الجوزي يظهر له إجماعهم على علو كعبه في فنون ومعارف شتى، ولورعه وزهده وعبادته وتفقهه وسعة أفقه أثني عليه العلماء، كما أثني عليه طلابه

(٢٣٢) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي (١٨٢/١).

(٢٣٣) انظر: تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر (٣١١/١-٣١٢) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤م.

(٢٣٤) انظر: الأئمة العقدية بني الأشاعرة وأهل الحديث - خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين - مظاهرها، آثارها، أسبابها، والحلول المقترحة لها، الدكتور خالد كبير علال، الجزائر، دار الإمام مالك، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

(٢٣٥) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، ابن الجوزي (٩٥/١)، دار الإمام النووي، الأردن - ١٩٩١م، الطبعة الثالثة، تحقيق: حسن السقاف.

الذين عاصروه. ويقول أبو عبدالله الديلمي<sup>(٢٣٦)</sup> في "تاريخه": شيخنا جمال الدين صاحب التصانيف في فنون العلوم من التفسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك. وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً. تفقه على الدينوري، وقرأ الوعظ على أبي القاسم العلوي، وبورك له في عمره وعلمه، وحدث بمصنفاته مراراً<sup>(٢٣٧)</sup>. وقال الموفق عبد اللطيف المقدسي: "كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيماً النعمة، موزون الحركات والنغمات، لذيد المفاكهة، يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون، لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين. وله في كل علم مشاركة، لكنه في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف. وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية، إن ارتحل أجاد، وإن روى أبدع. وله في الطب كتاب اللقط، مجلدان. وله تصانيف كثيرة. وكان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذنه حدة أكثر مما يراعي قوة بدنه ونيل لذته. جل غذائه الفرائج والمزورات، ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجنات، ولباسه أفضل لباس، الأبيض الناعم المطيب. ونشأ يتيماً على العفاف والصلاح، وله ذهن وقاد، وجواب حاضر، ومجون لطيف، ومداعبات حلوة. وكانت سيرته في منزله المواظبة على القراءة والكتابة. ولا ينفك من جارية حسناء في أحسن زي، لا تلهيه عما هو فيه، بل تعينه عليه وتقويه"<sup>(٢٣٨)</sup>. وقال: " كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون،

---

(٢٣٦) هو: محمد بن أبي المعالي سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج بن محمد الحافظ الكبير أبو عبد الله الديلمي ثم الواسطي الشافعي المعدل ببغداد، ولد في رجب سنة ثمان وخمسين وخمس مائة، سمع بواسط وبغداد وغيرهما من البلاد على جماعة من علماء الحديث النقاد، وقرأ القرآن والعربية والفقه، وتقدم وساد، وعلق الأصول والخلاف، وعني بالحديث ورجاله، وصنف كتاباً في تاريخ واسط، وذيل على مذييل السمعي وأجمعهما، وله معرفة بالأدب والشعر، وقد أثنى على حفظه وذنه واستحضاره الحافظ الضياء المقدسي، وابن نقطة وابن النجار، توفي ببغداد سنة (٦٣٧هـ). انظر: طبقات الشافعيين، ابن كثير (١/٨٤١).

(٢٣٧) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٥/٤٦٠).

(٢٣٨) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (٤٢/٣٠٣).

وكان يدرّس الفقه ويصنف فيه، وكان حافظاً للحديث، وصنّف فيه، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنّة ولا طريقته فيها<sup>(٢٣٩)</sup>. وقال ابن كثير: "أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلدة، وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعدوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة، هذا وله في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها"<sup>(٢٤٠)</sup>. وقال الإمام الذهبي: "كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديها، ويسهب، ويعجب، ويغرب، ويطنّب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحراً في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيهاً، عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التصون والتجمل، وحسن الشارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحداً صنّف ما صنّف"<sup>(٢٤١)</sup>. وعلى الرغم من استدراك شيخ الإسلام له وتعقبه في مواضع من كتبه إلا أنه كان يجله ويصفه بـ "الشيخ العالم"<sup>(٢٤٢)</sup>.

(٢٣٩) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد (٥٤٠/٦).

(٢٤٠) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٢٨/١٣).

(٢٤١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٥٦/١٥).

(٢٤٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (٣٦٣/٦) تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن

محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

ولما صنف أبو الفرج كتابه المسمى ب " التلقيح " وله إذ ذاك نحو الثلاثين من عمره، عرضه على ابن ناصر، فكتب عليه: قرأ عليّ هذا الكتاب جامعه الشيخ الإمام العالم الزاهد أبو الفرج، فوجدته قد أجاد تصنيفه، وأحسن تأليفه، وجمعه ولم يسبق إلى مثل هذا الجمع فقد طالع كتباً كثيرة، وأخذ أحسن ما فيها من الياقوت واللؤلؤ، فنظمه عقداً زان به التصانيف، التي تجمعت من التواريخ، ومعرفة الصحابة وأسمائهم وكنائهم وأعمارهم، وأبان عن فهم وعلم غزير مع اختصار يحض على الحفظ والعمل بالعلم، فنفعه الله بعلمه، ونفع به، وبلغه غاية العمرة لينفع المسلمين، وينصر السنة وأهلها، ويدحض البدع وحزبها (٢٤٣).

#### وفاة الإمام ابن الجوزي:

بعد أن عاش الإمام جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي -رحمه الله- داعياً مرشداً كاتباً بارعاً زاهداً مخلصاً قرابة تسعين عاماً، انتقل إلى جوار ربه ببغداد، وقول سبطه: "جلس جدي تحت تربة أم الخليفة عند معروف الكرخي، وكنت حاضراً، فأنشده أبياتا، قطع عليها المجلس وهي:

الله أسأل أن يطول مسدي	لأنال بالإنعام ما في نيدي
لي همة في العلم ما إن مثلها	وهي التي جنت النحول هي التي
خلقت من العلق العظيم إلى المنى	دعيت إلى نيل الكمال فلبت
كم كان لي من مجلس لو شبهت	حالاته لتشبهت بالجنة
أشواقه لما مضت أيامه	عطلا وتعذر ناقة إن حنت
يا هل لليلات بجمع عودة	أم هل على وادي منى من نظرة
قد كان أحلى من تصاريف الصبا	ومن الحمام مغنيا في الأيكة
فيه البدييات التي ما نالها	خلق بغير مخمر ومبيت في أبيات

(٢٤٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٤٨٨/٢).

ونزل، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مائة في داره بقطفنا. وحكت لي أُمِّي أنها سمعته يقول قبل موته: أيش أعمل بطواويس - يرددّها- قد جبتم لي هذه الطواويس. وحضر غسله شيخنا ابن سكينه وقت السحر، وغلقت الأسواق، وجاء الخلق، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقاً، لأن الأعيان لم يقدرُوا من الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه، وضاق بالناس، وكان يوماً مشهوداً، فلم يصل إلى حفرة بمقبرة أحمد إلى وقت صلاة الجمعة، وكان في تموز، وأفطر خلق، ورموا نفوسهم في الماء. إلى أن قال: وما وصل إلى حفرة من الكفن إلا قليل، - كذا قال- والعهدة عليه، وأنزل في الحفرة، والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن عليه الخلق، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمع والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان السكر في النوم، وهو على منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق والملائكة بين يديه. وأصبحنا يوم السبت عملنا العزاء، وتكلمت فيه، وحضر خلق عظيم، وعملت فيه المراثي، ومن العجائب أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة جدي في عافية، فعد الناس هذا من كراماته، لأنه كان مغرى بها (٣٤٤). وأوصى جده أن يكتب على قبره:

يا كثر العفو عن	كثير الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو الـ	صفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الـ	ضيف إحسان إليه

(٢٤٤) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٥/٤٦٤).

قال ابن خلكان: " ويقال: إنه جمعت رؤية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه

وسلم فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فكفت  
وفضل منها" (٢٤٥).

## المطلب الثاني

### التعريف بالكتاب ومنزلته العلمية

كتاب "زاد المسير في علم التفسير" يعد اختصارًا من كتاب آخر له، أسماه "المغني في التفسير" وقد  
عمد إلى كتب الذين سبقوه في التفسير فأشبعها دراسة واستفاد من الثغرات التي كانت في تفاسيرهم،  
ووضع تفسيره هذا مخلصًا إياه من التطويل المملّ ومن الاختصار المخلّ. وقد دفعه إلى تأليف هذا الكتاب  
ما ذكره هو عن نفسه في المقدمة قائلاً: "لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى المفاهيم،  
لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يمس الحافظ  
منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل،  
وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطويًا على العلم الغزير، ووسمته بـ "زاد المسير في علم  
التفسير" وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد - وفقك الله - في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما  
زال جائدًا بتوفيقه" (٢٤٦). فجاء كتابه وسطًا بين التفاسير الطويلة والمختصرة الشديدة الاختصار، مع تميّزه  
بجملة من الخصائص، إضافة إلى أسلوب ابن الجوزي السلس المتين والسهل الممتنع. ومن هذه الخصائص  
ما يلي:

(٢٤٥) وفيات الأعيان، ابن خلكان (١٤١/٣).

(٢٤٦) انظر: مقدمة محقق كتاب زاد المسير في علم التفسير عبد الرزاق المهدي (٩/١).

- أنه تحدّث عن نزلت بعض الآيات فيهم، وذكر القراءات المشهورة والشاذة أحيانا، وتوقف عند الآيات المنسوخة والتي اختلف العلماء حولها أم نسوخة هي أم لا؟ وأورد أقوال العلماء بهذا الصدد، بالإضافة إلى ردّه كل قول إلى مصدره معتمدا على علماء اللغة مثل: ابن قتيبة وأبي عبيدة والخليل بن أحمد الفراهيدي وعلي النحاة مثل: الفراء والزجاج والأخفش والكسائي ومحمد بن القاسم النحوي وعلي القراء مثل: الجحدري وعاصم وغيرهم (٢٤٧).
- الوفاء بتفسير الآية، بحيث لا يحتاج الناظر في كتابه إلى مطالعة كتب أخرى.
- ذكر أمور متعلقة بعلوم القرآن، كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وغير ذلك.
- انتقاء أحسن التفاسير، وأخذ الأصح والأحسن، ونظمه في عبارة مختصرة.
- الاعتناء بالقراءات وتوجيهها.
- ترك الأسانيد.

وهو يتوافق مع الماوردي في كتابه المسمّى «النكت والعيون» من حيث المنهج، ويصلح أن يوصف كتاب الماوردي بما وصف به كتاب ابن الجوزي، فيجوز أن يكون ابن الجوزي قد بنى عليه وزاد، كما أنه جانب ما سلكه الماوردي من الرأى والترجيح (٢٤٨). وقد نبه الإمام ابن الجوزي في مقدمة كتابه على ما قد يقع للناظر في كتابه من وجود كلمة أو آية لم تفسر، فقال: "وقد جذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين: إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهرا لا يحتاج إلى تفسير. وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون،

(٢٤٧) انظر: المرجع السابق.

(٢٤٨) انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب يعقوب الجديع العنزي (١/٣٣٠) الناشر:

مركز البحوث الإسلامية ليدز - بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

فنظمه في عبارة الاختصار. وهذا حين شروعنا فيما ابتدأنا له، والله الموفق<sup>(٢٤٩)</sup>. والكتاب قد جمع ما يحتاج إليه طالب العلم من معرفة الأقوال في الآية، ومعرفة الناسخ والمنسوخ فيها، ومعرفة جملة من الأحكام، مع مراعاة قول الحنابلة في ذلك، ومعرفة ما في الآية من قصص... مما لا يخلو منه تفسير، ومن كانت له عناية بمعرفة أقوال السلف في التفسير على وجه الإيجاز والسرعة، فإنه يمكنه الاعتماد على هذا التفسير.

يقول الدكتور عبدالله الجديع: "هذا الكتاب يعتمد على الأثر واللغة وبعض الرأي، ويسوق الأقوال في ذلك بأحسن سياقة وأخصرها، كما يعتني باختلاف القراءات وتوجيهها، حتى الشاذة منها، كذلك يذكر أسباب النزول والمكي والمدني، والنسخ، وتوضيح المشكل، جميع ذلك بعبارة سهلة وعرض ممتع، ويقال جدًا أن يذكر شيئًا غير معزو لأحد، وإذا علق بشيء من قبل نفسه أتى بآتم معنى وأخصر عبارة، غير أنه لما قصد إليه من الاختصار فإنه لا يذكر الأسانيد"<sup>(٢٥٠)</sup>. ويقول الدكتور محمد بن عبد الرحمن عبد الله في مقدمة تحقيقه للكتاب: "زاد المسير في علم التفسير أحد أهم الكتب التي صنفها ابن الجوزي وقد نيفت على الثلاثمائة مصنف، بل هو من أهم كتب التفسير للقرآن الكريم، فقد عمد ابن الجوزي حين عقد النية على تأليفه إلى كتب الذين سبقوه في التفسير فقرأها وأشبعها دراسة، وإلى العلوم المساعدة للمفسر، ليلم بموضوعه تمام الإمام، ورأى من خلال هذه الدراسة لمؤلفات السلف أن المفسرين قبله قد وقعوا في كثير التطويل تارة، والتقصير طورا، فاستفاد من الثغرات التي كانت في تفاسيرهم وألف تفسيره هذا مختصًا إياه من التطويل الممل، ومن الاختصار المخل"<sup>(٢٥١)</sup>.

ما يؤخذ على الكتاب: ومع ذلك فإن الكتاب لا يخلو - كما هو حال أي عمل بشري - من النقص والمؤاخذات، ومما يمكن أن نذكره في هذا المقام: أن الإمام رحمه الله قد اضطرب في باب الأسماء والصفات،

(٢٤٩) خطبة كتاب زاد المسير في علم التفسير (١٣/١).

(٢٥٠) المقدمة الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع الغزني (٣٣٠/١).

(٢٥١) مقدمة محقق كتاب زاد المسير في علم التفسير الدكتور محمد بن عبد الرحمن عبد الله (١١/١).

كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً: "... أن أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب: لم يثبت على قدم النبي ولا على قدم الإثبات؛ بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثرًا ما أثبت به كثيرًا من الصفات التي أنكرها.... فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس؛ يثبتون تارة، وينفون أخرى، في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزالي" (٢٥٢). وينبغي الإشارة إلى أن الكتاب قد نشر عدة نشرات، من أهمها:

- ١- نشره المكتب الإسلامي بتحقيق الأستاذ زهير الشاويش رحمه الله، وتعد من أهم نشرات الكتاب.
- ٢- نشره دار الفكر، وهي في ثمان مجلدات، وتتميز عن طبعة المكتب الإسلامي برجوعها إلى نسخة محفوظة في الأزهرية، وفيها زيادات على نسخة المكتب الإسلامي.
- ٣- نشره دار الكتاب العربي بتحقيق عبد الرزاق المهدي.

## المبحث الثاني

### الإمام ابن عطية وكتابه

تناوب على تفسير القرآن الكريم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم وإلى يوم الناس هذا جمع غفير من أئمة المسلمين العلماء، وتحديدًا في القرن السادس ظهر المفسر ابن عطية الأندلسي في غرناطة في الأندلس، وسيقف هذا المقال مع لمحة عن المفسر ابن عطية الأندلسي. وهو ما سنوضحه بشكل أكثر تفصيلاً عن الإمام بن عطية في هذا المبحث من خلال مطلبين هما:

### المطلب الأول

#### التعريف بالإمام ابن عطية

أولاً/ أسم الإمام ابن عطية وكنيته ومولده:

- اسم الإمام ابن عطية ونسبه: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاري (٢٥٣).
- كنيته: يكنى أبا محمد من ولد زيد بن محارب بن خصفة من قيس عيلان من مضر (٢٥٤).
- سنة مولد الإمام ابن عطية: أجمع المؤرخون أن ميلاده كان سنة ٤٨١ هـ في غرناطة، وأحوال أهل هذا القطر في الدين وإصلاح العقائد أحوال سيئة، والأهواء والنحل فيهم معدومة وصورهم حسنة، معتدلة أنوفهم، بيض ألوانهم، مسودة غالباً شعورهم متوسطة قدودهم، فصيحة ألسنتهم، عربية لغاتهم، يتخللها عرف كثير ويغلب عليها الإمالة وأخلاقهم أبية، وأنسابهم عربية، وفيهم البربر والمهاجرة كثير (٢٥٥).

---

(٢٥٣) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي (٥٧/٢) تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحدي أبو النور،

الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(٢٥٤) نظر: المرجع السابق (٥٧/٢).

(٢٥٥) انظر: للمحة البدرية في الدولة المصري، لسان الدين بن الخطيب (٣٨/١).

## ثانياً/ نشأة الإمام ابن عطية وثرأؤه:

نشأته ومكانته العلمية نشأ ابن عطية في بيت علم وفضل فقد ورث عن هذه الأسرة ما كان لها من مواهب فكرية وخصائص علمية، فلاحت عليه منذ نعومة أظافره- أمارات النبوغ، ومخايل الذكاء، واندفع في شببته يطلب العلم بكل جد ونشاط، مترسماً خطاً والده الحافظ الناقد المجدد أبو بكر غالب بن عبد الرحمن. وكان والده يعتبر اللبنة الأولى له في تلقينه للعلوم والمعارف لا سيما وهو إمام جليل قال عنه ابن بشكوال كان حافظاً للحديث وطرقه وعلله عارفاً بالرجال ذاكرة لمتونه ومعانيه وكان أديباً شاعراً لغويًا دينا فاضلاً توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة من جمادى الآخرة وله سبع وسبعون سنة، نزل جده عطية بن خفاف بقرية فنينلة من زاوية غرناطة فأنسل كثيراً لهم قدر وفيهم فضل (٢٥٦).

كان الناس يغدون إلى رحاب والده فيتعلمون والوليد الصغير يرى ذلك كله فيتأثر به وينمو وجو العلم وطلابه يحيط به فيتعلق بهذه الحياة العلمية ويدفعه إليها طموح خطر عليه وربيعه على تحقيق رغباته رعاية واسعة من الوالد الفاضل الذي اختار له الأساتذة وساعده حتى على تأليف تفسيره فهو فرع من شجرة مورقة امتدت غضونها وأوراقها، ونضجت ثمارها فأوي إلى ظلها كثيرون، ونعم بخيراتهم طلاب العلم في أماكن كثيرة. وكان رحمة الله غاية في الذكاء والدهاء شغوفاً بالتحديد واقتناء الكتب مولعاً باكتساب العلوم والمعارف، ولهذا رحل إلى كل عواصم الأندلس وحواضرها يلتقي بالعلماء، ويأخذ عن الشيوخ، ويراسلهم في كل مكان إذا عجز عن الالتقاء بهم، وكان يسألهم الإجازة العلمية حتى كون لنفسه أحسن تكوين (٢٥٧).

(٢٥٦) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي (٥٧/٢).

(٢٥٧) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/١).

هذه النشأة الأصيلة نشأتها في بيت العلم والدين خلفت فيه هذه الروح المتطلعة إلى العلم والمعرفة، وبعثت فيه الرغبة القوية إلى التحصيل والتفوق، فكانت هذه من أهم أسباب نبوغه وتفوقه واحتلاله مكانة عالية حتى عرفه القاصي والداني وأثنى عليه كل من عرفه أو اطلع على مؤلفاته (٢٥٨).

### ثالثاً/ رحلات الإمام ابن عطية وشيوخه وتلاميذه:

كان الإمام ابن عطية حريصاً على الالتقاء بالعلماء والاجتماع بهم في كل مدن الأندلس التي حل بها: فلقي بمدينة غرناطة محمد بن علي بن حميدن التغلبي وأبا بحر سفيان بن العاصي، ولقي بقرطبة أبا القاسم خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد بن الحصار المعروف بابن النحاس ومحمد بن عبد الرحمن بن عتاب، ولقي بمدينة اشبيلية الحسن بن عمر الهوزني ولقي بجيان محمد بن عمر أبي العصافير الجاني. ولا يعرف لأبن عطية رحلات علمية أو لغرض آخر خارج الأندلس. وقد ولي خطة القضاء بمدينة المرية في شهر محرم عام ٥٢٩ هـ للملثمين (٢٥٩). وقد كان عبد الحق بن عطية من المجاهدين: فقد نفض إلى غزو طليطزة سنة ٥٠٣ هـ. وكان كثير الغزوات في جيوش الملثمين (٢٦٠).

### ١. شيوخ الإمام ابن عطية:

قال الإمام ابن عطية: "الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وعلى آله أجمعين وسلم هذه تسمية من لقيته من الشيوخ حملة العلم وذكر ما روئته ومن إجازني، منهم أبي رضي الله عنه الفقيه أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية، والفقيه الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني رضي الله عنه والفقيه المشاور

(٢٥٨) انظر: انظر: ابن عطية ومنهجه في تعريف المخرر الوجيز، إسلام فرح الخليفة (ص: ٢٧).

(٢٥٩) انظر: ابن عطية ومنهجه في تعريف المخرر الوجيز، إسلام فرح الخليفة (ص: ٢٧).

(٢٦٠) انظر: الديباج المذهب، ابن فرحون (٥٧/٢).

الفاضل أبو عبد الله محمد بن فرج القرطبي، ويعرف بابن الطلاع، ويقال الطلاعي مفتي الأندلس ومحدثها في عصره، من أهل قرطبة كان أبوه مولى محمد بن يحيى البكري الطلاع فنسب له كتاب في أحكام النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك الشيخ الجليل الصالح المقرئ أبو الحسن علي بن خلف عالم بالحديث من أهل قرطبة له شرح البخاري الجزء الأول والثالث والرابع<sup>(٢٦١)</sup>. ومن شيوخه أبو العباس أحمد بن عثمان بن مكحول وأبو القاسم الحسن بن عمر الهوزي وأبو بكر عبد الباقي بن محمد الحجازي وابن برال وأبو محمد عبد الواحد بن عيسى الهمداني وغيرهم<sup>(٢٦٢)</sup>. كذلك من شيوخه الحافظ أبو علي الصديفي والإمام المقرئ ابن الباذي والفقهاء أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي<sup>(٢٦٣)</sup>.

## ٢. تلاميذه الإمام ابن عطية:

تتلمذ على يد الإمام ابن عطية خلق كثير، منهم: ابنه حمزة وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبيد بن يوسف الأنصاري الأندلسي المعروف بابن جبيش، مؤرخ عالم بالعربية والقراءات من الحفاظ من أهل المرية ولي القضاء بجزيرة شقر ثم بمرسية وتوفي بها له المغازي مؤلفات<sup>(٢٦٤)</sup>. ومن تلاميذه عبد المنعم محمد بن عبد الرحيم الخرزجي المعروف بابن الفرس قاضي أندلسي من علماء غرناطة ولي القضاء بجزيرة شقر ثم في وادي آش ثم في جيان وأخيراً بغرناطة وجعل إليه النظر في الحسبة والشرطة له تأليف منها كتاب أحكام القرآن فرغ من تأليفه بمرسية سنة ٥٥٣ هـ<sup>(٢٦٥)</sup>. ومنهم عبد الملك بن محمد بن مسعود بن أبي الخصال الفاقعي<sup>(٢٦٦)</sup> وأبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي، وأحمد بن معد بن

(٢٦١) انظر: فهرسة ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ص: ١).

(٢٦٢) انظر: الديباج المذهب، ابن فرحون (٥٧/٢).

(٢٦٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/١).

(٢٦٤) انظر: الأعلام، الزركلي (٣/٣٢٧).

(٢٦٥) انظر: المرجع السابق.

(٢٦٦) انظر: البحر المحيط، ابن حيان (١١/١).

عيسى بن وكيل المعروف بابن الإقليسي علي بن أحمد الشقوري<sup>(٢٦٧)</sup>. وهو من حدث عن ابن عطية وهو آخر من روى عنه، وذكر السيوطي كذلك آخرهم بالإجازة أبي الحسن علي بن أحمد الشقوري المتوفى سنة ست عشرة وستمائة<sup>(٢٦٨)</sup>. ومن أشهر تلاميذه أبو بكر بن طفيل صاحب رسالة حي بن يقطان المشهورة، وتلاميذه هم من صفوه العلماء والشيخوخ، ولقد انتفع بعلمه خلق كثير، وكان مقصداً يفد إليه الطلاب<sup>(٢٦٩)</sup>.

ومنهم الإمام الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة المرسي، والإمام النحوي أبو جعفر أحمد بن مضاء اللخمي القرطبي، وآخرون<sup>(٢٧٠)</sup>.

#### رابعاً/ مذهب الإمام ابن عطية العقدي:

الإمام ابن عطية أشعري "في مسألة تأويل الصفات، ومثال ذلك تأويل ابن عطية صفة اليد في قوله تعالى وإن الذين يبائعونك إيماناً بياعونك إما بياعونك الله يا الله فوق أيديهم" قال ابن عطية- رحمه الله- وقوله تعالى: يد الله قال جمهور المتأولين: اليد، بمعنى: النعمة، أي نعمة الله في نفس هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها، فوق أيديهم التي مدوها لبيعتك. وقال آخرون: يد الله هذا، بمعنى: قوة الله فوق قواهم، أي في نصرك ونصرهم، فالآية على هذا تعدد نعمة عليهم مستقبلة مخبر بها، وعلى التأويل الأول تعدد نعمة حاصلة تشرف بها الأمر، قال النقاش د الله في الثواب<sup>(٢٧١)</sup>. وأما القول بأنه يميل إلى آراء المعتزلة فهذا القول غير صحيح، بل نجد ابن عطية يعرض أقوال المعتزلة، ويناقشها ويرد عليها، وينقض أصولهم، ومن ذلك الأصل

(٢٦٧) انظر: فهرسة ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ص: ١).

(٢٦٨) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٠/١).

(٢٦٩) انظر: المرجع السابق.

(٢٧٠) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣٧٩/٢).

(٢٧١) المرجع السابق.

الأول من أصول المعتزلة، وهو التوحيد وقد ذكر في مواضع كثيرة في تفسيره عقيدة أهل السنة في ذات الله تعالى وصفاته، فيذكر أن الله تعالى ليس كمثل شيء، وأنه ليس بجسم ولا متحيز في جهة، وأنه منزه عن الخواس، والتشبيه، والتكييف<sup>(٢٧٢)</sup>، ففي تفسير الآيات التي يوهم ظاهرها أن الله متحيز في جهة، أو يحويه مكان أو يحده زمان، نجد ابن عطية يحاول توجه هذه الآيات بما يتمشى مع عقيدة أهل السنة بالنسبة لذات الله تعالى، وما ولها من التنزيه التام، وكما كان ابن عطية رحمه الله - مخالفة للمعتزلة في الأصل الأول من أصولهم، فإنه كذلك كان مخالفة لهم في الأصل الثاني من أصولهم، وهو العدل، وما يترتب عليه من قضايا اعتزالية<sup>(٢٧٣)</sup>.

#### خامساً/ مذهب الإمام ابن الجوزي الفقهية:

كان ابن عطية إماماً من أئمة المالكية وفقياً من كبار فقهاءهم وذكر في تفسيره أقوال علماء المالكية في المسائل الفقهية، وقد سلك طريق المذهب المالكي في استنباط الأحكام الفقهية في تفسيره، كال كثير من العلماء المخاربة في الماضي والحاضر. ودخلت المالكية الأندلس عن طريق تلاميذ مالك من فقهاء ومحدثين، والذي يظهر من ذلك أن الإمام ابن عطية مالكي المذهب وذلك لذيوع مذهب الإمام مالك في بلاد الأندلس وانتشاره في أصقاعها<sup>(٢٧٤)</sup>.

#### سادساً/ ثناء العلماء عليه:

قال الذهبي: الإمام العلامة شيخ المفسرين كان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية قوي المشاركة، ذكياً فطنا مدركاً من أوعية العلم<sup>(٢٧٥)</sup>. وقال ابن الزبير: كان فقيهاً جليلاً عارفاً بالأحكام والحديث

(٢٧٢) المرجع السابق.

(٢٧٣) المرجع السابق.

(٢٧٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٧/١).

(٢٧٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٩/٥٨٨).

والتفسير، نحويا لغويا أدبيا، بارعا شاعرا مفيدا، ضابطا سنيا فاضلا من بيت علم وجلالة، غاية في توقد  
الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف"<sup>(٢٧٦)</sup>. وقال ابن فرحون: "كان فقيها عالما بالتفسير، والأحكام  
والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب مقيدا حسن التقيد"<sup>(٢٧٧)</sup>.

### سابعاً/ وفاة الإمام ابن الجوزي:

في ليلة خامس عشر رمضان سنة اثنتين - وقيل إحدى، وقيل ست - وأربعين وخمسمائة توفي هذا  
الإمام الجليل<sup>(٢٧٨)</sup>.

### المطلب الثاني

#### التعريف بالكتاب ومنزلته العلمية

#### سبب تأليف الخرج الوجيز:

يذكر ابن عطية في مقدمة تفسيره الباعث على تأليف هذا التفسير يقول: (فلما أردت أن أختار  
لنفسى وانظر في علم أعد أنواره لظلم نفسى سيرتها<sup>(٢٧٩)</sup> بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على  
قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالا وأجملها آثارا، وأسطقها أنوارا، علم كتاب الله جللت قدرته،  
وتقدست أسماؤه، الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد). الذى استقل  
بالسنة والفرض، ونزل به امين السماء إلى امين الأرض، وهو العلم الذى جعل للشرع قواما واستعمل سائر  
المعارف خداما، مما تؤخذ منه مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصح، وما خالفه رفض ودفع،

(٢٧٦) انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي (٧٣/١).

(٢٧٧) انظر: الديباج المذهب، ابن فرحون (٥٧/٢).

(٢٧٨) سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٩ / ٥٨٨).

(٢٧٩) من سير الجرح والبتير وغيرها يسيرها سيرا امتحن غوره ليعرف مقداره، بطرس البستاني، محيط المحيط (٣/٣٩٠)، مؤسسة جواد للطباعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١٩٨٣ م.

فهو عنصرها النмир، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير، وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبا إلى الله تعالى، وتخليصا للنيات، ونهيا عن الباطل، وحضا على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حاملها من منازلها صيدا، ويمشي في التلطف لها رويدا. ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته أكثر عمرة معانيه ولسانا في ميادينه ومثانيه، ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت صوامعها في ميادينه ومعاليه، فنثبت له عنان النظر، وأقطعت جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر. وما نويت علم الله إلا عن ضرورة بحسب ما يلم في هذه الدار من شقوب ويمس من لغوب أو بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف فلما سلكت سبيله بفضل الله ذللا وبلغت فيه من اطراد الفهد املا رأيت ان نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ و تفدح وتسبح لم يرم تقيدها في فكرة وتبرج وإنما قد أخذت بحظها من الثقل فهي تتقصى من الصدور تقصي الابل من العقل قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾<sup>(٢٨٠)</sup> قال المفسرون: أي علم على معانيه والعمل به ففزعت إلى تعليق ما ينتخل لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني وقصدت أن يكون جامعا وجيزا<sup>(٢٨١)</sup>.

ومما ذكره ابن عطية في مقدمته يتضح لنا أنه عندما أراد التأليف بحث ونقب وأعطى نفسه فرصة كافية وأخيرا اهتدى إلى أن التفسير هو أعظم العلوم وأشرفها لأن القرآن هو أساس الحياة. وقد ذكر ابن عطية في مقدمته أنه من أفضل العلوم وأشرفها ويحى شرف التفسير بالنظر إلى أمور منهما أولا أن موضوعه ومدار بحثه هو القرآن الكريم كتاب المولى جل وعلا.

طبقات تفسير ابن عطية:

(٢٨٠) المزمّل: ٥.

(٢٨١) المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٠/١).

بقي هذا التفسير حبيس الخزانين والمخطوطات الدفينة، ولم تتجه المهتم إلى طباعته مع النهضة العلمية التي توجهت لطباعة كتب التفسير إلى أن قامت وزارة الأوقاف المغربية بخدمة الكتاب وطباعته بتحقيق المجلس العلمي للقرويين بفاس معتمدة في نشره على عدة نسخ منها نسخة خزانة القيروان، والخزانة الناصرية، وعلى نسخ من سوس ومراكش وغيرها، وصدر سنة ١٣٩٥ هـ. في ستة عشر مجلدا ثم طبع مرة ثانية بقطر سنة ١٣٩٨ هـ على نفقة أمير قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، وصدر في ثلاثة عشر مجلدا بتحقيق وتعليق الرحالي الفاروقي وعبد الله الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي صادق العناني، واعتمدوا في تحقيقه على ست نسخ مخطوطة، وعنوا بتصحيحه وإخراجه بالمستوى اللائق. كما صدر جزءان من التفسير إلى الآية (٩٣) من سورة آل عمران من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر بتحقيق الأستاذ أحمد صادق الملاح. وعن طبعة قطر المحفقة تقوم دار ابن حزم ببيروت بتقديم الكتاب للقراء في كتاب واحد<sup>(٢٨٢)</sup>. والطبعة التي بين أيدينا طبعة دار ابن حزم بدولة لبنان وهي الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م، وتقع في مجلد واحد.

مما سبق يتضح لنا أن هذا التفسير ظل مخطوطاً ما يقارب الثمانية قرون ثم طبع، وبعد ذلك توالى طباعته. أما الطبعة الأخيرة (طبعة دار ابن حزم) فلها أهميتها. فنحن الآن في عصر السرعة وتيسير المعلومات لذلك قد قامت كتب التراث الضخمة في حجم صغير أشبه ما يكون بالمعجم الذي يسهل مراجعته وحمله من مكان إلى آخر وكذلك يحقق للقارئ طلبه في وقت قصير، وفيها إضافة إلى ذلك توفير الوقت والمكان والمال وقد استفدت من هذه الطبعة خاصة في التنقل بها من مكان لآخر وهي بتحقيق مجد مكي وحزى الله القائمين بأمرها خير الجزاء.

**مكانة تفسير ابن عطية:**

(٢٨٢) ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز دار ابن حزم بيروت ط ١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م، ص ١٠.

لقد أجمع العلماء الذين ترجموا لابن عطية أن تفسيره له شأن عظيم وإليك طائفة من أقوالهم: قال ابن عميرة الضبي: "ألف يعني ابن عطية في التفسير كتابا ضخما أرى فيه على كل من تقدم" (٢٨٣). وقال ابن الأبار: "وتأليفه في التفسير جليل الفائدة كتبه الناس كثيرا وسمعوا منه وأخذوا عنه" (٢٨٤). وقال المقرئ: "ولأبي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة" (٢٨٥). وقال الإمام المفسر محمد بن أحمد بن جزى: في مقدمة تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل "فأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعد لها فإنه أطلع على تأليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة" (٢٨٦). وقال المفسر أبو حيان مثنيا على تفسير الزمخشري وابن عطية: "أحما أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح والتحرير، كما يقول عن كتابهما أحما أنجدا وأغار، وأشرفا في سماء هذا العلم بدرين وأنارا، وتنزلا من الكتب التفسيرية منزلة الإنسان من العين، وبتيمة الدهر من اللآلئ، وليلة القدر من الليالي" (٢٨٧). وقال محمد الطاهر في مقدمة تفسيره مقارنا بين تفسير ابن عطية والزمخشري: "كلاهما يغوص في معاني الآيات ويأتي بشواهدا من كلام العرب ويذكر كلامهم، إلا أن منحى البلاغة والعربية بالزمخشري أخص ومنحى الشريعة على ابن عطية أغلب وكلاهما عضدتا الباب ومرجع من بعدها من أولي الألباب" (٢٨٨). ويقول ابن خلدون في مقدمته: "فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع

(٢٨٣) ابن عميرة الضبي، بغية الملتبس في رجال الأندلس (ص: ٣٧٦).

(٢٨٤) ابن الأبار المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي (ص: ٢٠).

(٢٨٥) أبو الحسن الشهباني تاريخ قضاة الأندلس (ص: ٢٠).

(٢٨٦) محمد أحمد جزى الغرناطي التسهيل لعلوم التنزيل دار الأرقم بن الأرقم بيروت، لبنان ط ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م، (ج: ١، ص: ٥).

(٢٨٧) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق (ج: ١، ص: ٩، ١٠).

(٢٨٨) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار الكتب العلمية بيروت (ج: ١، ص: ١٤).

ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى" (٢٨٩). وقال العلامة الإمام المفسر المحدث

السيوطي: "وألف تفسير القرآن الكريم، وهو أصدق شاهد له بإمامته" (٢٩٠).

مما سبق يتبين لنا أن تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز له شهرته الواسعة، وشانه العظيم في بلاد المشرق والمغرب، وإذا تتبعنا ما قاله العلماء فيه تجددهم وصفوه بعبارات مثل كتاب ضخيم، أرى فيه على كل من تقدم جليل الفائدة، اشتهر وطار في الشرق والغرب، من أحسن التأليف وأعد لها، وهذه كلها تدل على مكانة هذا الكتاب التفسير. وقد كان له أثره في التفاسير التي جاءت بعده.

#### تأثير المفسرين بتفسير ابن عطية:

كان لتفسير ابن عطية أثر كبير فيمن جاء بعده من المفسرين، وقد ظهر هذا الأثر واضحا في أربعة من كتب التفسير وهي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٢٩١). والتسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن جزي، والبحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي (٢٩٢). وقد كان أثر تفسير ابن عطية في هذه الكتب واضحا، ولا بد من وقفة عليها لنرى الأثر الذي تركه تفسير ابن عطية فيها ونبدأ بتفسير القرطبي، لقد تأثر القرطبي بتفسير ابن عطية منهجا وموضوعا ونقل الكثير من نصوصه في تفسيره ونسب هذه النصوص إليه وأغفل عن ذلك في بعض الأحيان. وتناول القرطبي الكثير من كلام ابن عطية بالشرح والتعليق، وطورا بالنقد والتعقيب. وما تميز به القرطبي في تفسيره الأحاديث

(٢٨٩) ابن خلدون المقدمة مصدر سابق (ص: ٤٨٧).

(٢٩٠) السيوطي بغية الوعاة، (ص: ٢٩٥).

(٢٩١) هو أبو عبدالله محمد بن احمد الانصاري الاندلسي القرطبي المفسر كان من عباد الله الصالحين رحل الى المشرق وكان مستقرا بمنية ابن الخصيب بمصر، توفي بها سنة ٦٧١ هـ رحمه الله ورضي عنه من أهل قرطبة من كتبه الجامع لأحكام القرآن، الأعلام الزركلي (ج: ٥، ص: ٣٢٢).

(٢٩٢) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الاندلسي من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم ولد في جهات غرناطة اقام بالقاهرة وتوفي فيها سنة ٧٤٥ هـ من تصانيفه البحر المحيط وطبقات تجاه الاندلس الاعلام الزركلي (ج: ٧، ص: ١٥٢).

النبوية التي أوردتها في تفسيره وقد ظهر تأثير ابن عطية في كتابه الجامع لأحكام القرآن. فالمتتبع لهذا التفسير يرى أنه يكاد يسير في خط ابن عطية بمعنى أنه التزم نفس المنهج الذي وضعه ابن عطية قال ابن خلدون: " وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير، وتجرى ما هو أقرب للصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق<sup>(٢٩٣)</sup> ويجد المتصفح للجامع لأحكام القرآن اسم ابن عطية يتردد كثيرا، وهو ينقل آراءه وينسبها له يقول القرطبي: (وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنفها فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله)<sup>(٢٩٤)</sup>.

والملاحظ في تأثره به وضع مقدمات في بداية تفسيره، وتقسيم المقدمة إلى أبواب، مثلا: باب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ونبيه العلماء رضي الله عنهم في فضل القرآن المجيد، وضرورة الاعتصام. به وباب نبذه مما قاله العلماء في إعجاز القرآن وباب القول في الاستعاذة والقول في البسملة وغيره. ونجد القرطبي قد تناولها وأورد فيها ما قاله ابن عطية مثلا في باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن قال القرطبي: "قال ابن عطية وكان جلة من السلف الصالح كسعید بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لأنفسهم مع إدراكهم وتورعهم"<sup>(٢٩٥)</sup>، وكذلك من المفسرين اللاحقين الذين تأثروا بابن عطية أبو حيان في تفسيره البحر المحيط وقد ذكر أبو حيان في مقدمته تفسير ابن عطية وأثنى عليه يقول: "وهذا أبو القاسم محمد بن عمر المتزقي الخوارزمي الزمخشري و أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح فيها والتحرير وقد اشتهرا أولا كاشتهار الشمس وخلدا في الأحياء وان رأي في الرسم

(٢٩٣) مقدمة ابن خلدون (١: ٥٧٨).

(٢٩٤) أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١/٤٣).

(٢٩٥) المرجع نفسه (١/٤٣).

وكلاهما فيه يدل على تقدمها في العلوم من منثور ومنظوم، ومنقول ومفهوم، وتقلب فنون الآداب، وتمكن من علمي المعاني والإعراب، وفي خطبتي كتابيهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدل على أنهما فارسا ميدان وممارسا فصاحة" (٢٩٦).

وإذا تتبعنا تفسير أبي حيان نجد أن المنهج الذي سلكه يكاد يشابه منهج ابن عطية وقد عني عناية كبيرة بنقل آراء ابن عطية والتعقيب عليها فلا تكاد تمر مسألة في اللغة والنحو والقراءات إلا وينقل رأي ابن عطية فيها لكنه يتبعه في أكثر الأحيان بالنقد والتعليق وما يوضح ذلك تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٩٧). ويقول أبو حيان: "قال ابن عطية أنذرهم أم لم تنذرهم لفظه الاستفهام ومعناه الخبر وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام لأن فيه التسوية التي هي الاستفهام ألا ترى أنك إذا قلت محيرا سواء على أقمت أم قعدت أم ذهبت وإذا قلت مستفهما أخرج زيد أم أقام أستوى الأمران عندك هذا في الخبر وهذان في الاستفهام و عدم علم احدهما بعينه فأما عممتها التسوية وجرى على الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إياه في الإبهام وكل استفهام تسوية وإن لم يكن كل تسوية استفهام انتهى كلامه فهو حسن، إلا أن في أوله مناقشة وهو قوله أنذرهم أم لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وليس كذلك لأن هذا الذي صورته صورة الاستفهام ليس معناه الخبر الإله مقدر بالفرد أما مبتدأ أو خير سواء أو العكس أو فاعل سواء لكون سواء وحده خبر وعلى حد هذه التقارير كلها ليس معناها معني الخبر وإنما سواء وما بعده إذا كان خيرا أو مبتدأ معناه الخبر ولغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو أنذرهم وبه قرأ الكوفيون وابن ذكوان وهو الأصل واهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طي للتحقيق" (٢٩٨). في هذا النموذج أورد أبو حيان رأي ابن عطية وأثنى عليه تم عقب عليه، وذكرنا من

(٢٩٦) محمد بن يوسف أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط دار الفكر، بيروت ط٢، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م، (ج: ١، ص: ٩٩، ١٠٠).

(٢٩٧) سورة البقرة، الآية ٦.

(٢٩٨) البحر المحيط في التفسير (٤٣/١).

المفسرين اللاحقين الذين تأثروا بابن عطية أبا عبد الرحمن ابن محمد الثعالبي<sup>(٢٩٩)</sup>. فكتابه المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن هو اختصار لتفسير ابن عطية يقول الثعالبي في مقدمته: (إني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين. فقد ضعته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدت فوائد جمّة من غيره من كتب الأمة، وثقاة اعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو أوريته عند الإثبات وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود من المحققين، وكل من نقلت عنه من المفسرين من تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عولت، ولم أنقل شيئاً من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الدلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها وما انفردت بنقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله اللخمي النحوي لتفسير الطبري ... وها أنا إن شاء الله أشرع في المقصود والتقط من كلام ابن عطية ما يشتمل عليه من النبذ الحسنة المختارة ما تقر به العين وإذا نقلت شيئاً من غيره عزوته لصاحبه"<sup>(٣٠٠)</sup>.

---

(٢٩٩) هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد: مفسر، من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق. من كتبه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن- جامع الأمهات في أحكام العبادات) توفي سنة ٧٨٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/٣٣١).

(٣٠٠) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (٢٠/١) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ